الأستاذ: النذير ضبعي

السنة: الثانية ليسانس

المادة: الأسلوبية وتحليل الخطاب

التخصص: ثانية دراسات أدبية

المحاضرة رقم: 02

عنوان المحاضرة: الأسلوبية التعبيرية

الأسلوبية التعبيرية:

يعد شارل بالي(1865-1947) رائد الأسلوبية التعبيرية وقد بدأ في التأسيس لها من خلال كتابيه: (في الأسلوبية الفرنسية) الصادر سنة 1902م، و (المجمل في الأسلوبية) الصادر 1905م.

ويرى "بالي" أنَّ الأصل في الأسلوب هو تلك الإضافة لمحتوى تأثيري يتضح من خلال التعبير، ولاشك أنَّ هذا المحتوى ذو مضمون عاطفي يحدث في نص ما بوسائل لغوية تدمج القارئ في النظرية الأسلوبية كمتلقٍ يعتد بدوره في تحديد التأثير داخل عملية التواصل الأدبي[1].

فهي تعني عنده البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة، وهي تدرس هذه العناصر من خلال محتواها التعبيري والتأثيري"[2]

إن هذه القِيَّم التعبيرية تتشكل مع "المعنى الحرفي، ثم بواسطة اكتساب الوحدات اللغوية دلالات جانبية، تتفارق مع الأصل اللغوي، وإن كانت لا تنبت عنه تماما، غير أنَّها في الوقت ذاته تكتنز قِيَّماً لها سمة الإبانة عن المثيرات النفسية من دهشة وتعجب أو حسرة وتضرع، وسوى ذلك مِمَّا ينتج من السياق والمساق"[3].

وتدرس الأسلوبية التعبيرية " أحداث (faits) التعبير اللغوي المنظم لمحتواه العاطفي؛ أي دراسة تعبير اللغة، فهذه الأسلوبية – كما يؤكد جيرو- " تعبيرية بحتة، ولا تهتم إلا بالإيصال المألوف والعفوي، وتستبعد كل اهتمام جمالي أو أدبي"[4]. وبذلك فهي لا تهتم بالنصوص الأدبية.

وقد ارتبطت الأسلوبية بثنائية اللغة والكلام عند (دي سوسير) من حيث البحث عن الخصائص النوعية التي تميز نصا متحققا من غيره من النصوص ولذا "فهي تعنى بما هو منفذ ومنجز أي أنها تعنى بالنص الذي يرتبط من ناحية تحققه بالكلام"[5]، وهذا ما جعل (شارل بالي) يحدد مجال الأسلوبية في إطار حقله اللغوي حيث كان يركز "على دراسة القيمة العاطفية للوقائع اللغوية المميزة والعمل المتبادل للوقائع التعبيرية التي تساعد على تشكيل نظام وسائل التعبير في اللغة"[6].

ويبقى هذا كله في دائرة اللغة المنطوقة؛ باعتبارها نظاما لأدوات التعبير كفيلة بإبراز "المفارقات العاطفية والإرادية والجمالية والاجتماعية والنفسية"[7]، إن اللغة العاطفية تبرز من خلال عمليات التواصل الاجتماعي في مستوياته المختلفة من أحاديث نصوص مختارة، وذلك ما جعل (شارل بالي) يقول "إن الأسلوبية هو العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي؛ أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة وواقع اللغة عبر هذه الحساسية"[8].

ومنه فإن الواقع اللغوي قد قسم إلى نوعين: ما هو حامل لذاته مكتفيا بحده اللفظي، وما هو مشحون بالانفعالات الوجدانية والتي جعلت شارل بالي يصب اهتمامه على اللغة الطبيعية التواصلية دون اللغة الأدبية، وهو بذلك يفرق بين لغتين حيث قال: "أنا لم أزعم قط أن لغة الوجدان لها وجود مستقل عن لغة العقل، وأن علم الأسلوب ينبغي أن يدرس الأولى ويدع الثانية؛ بل إنه يدرسهما معًا في علاقتهما المتبادلة، ويبحث نفسية كل واحدة إلى الأخرى في تكوين هذا النمط من أنماط التعبير اللغوي"[9] ، وبذلك فإن (شارل بالي) من خلال هذه المقولة يزاوج بين اللغتين، أو يحاول أن يتتبع الاتصال العفوي باعتباره تعبيرات انفعالية ذات أبعاد تأثيرية، ومنه فإن الأسلوب عنده "يتجلى في مجموعة من الوحدات اللسانية التي تمارس تأثيرًا معينًا في مستعملها أو قارئها، ومن هنا يتمحور هدف الأسلوبية حول اكتشاف القيم اللسانية المؤثرة ذات الطابع العاطفي"[10].

إن إقصاء شارل بالي اللغة الأدبية عن الدراسة الأسلوبية، وتركيزه على اللغة الاعتيادية على اعتبار أنها تأتي عن غير وعي، فتأتي على لسانه عفوًا مشكلة بنى لسانية ذات تعبير وجداني دفعه إلى البحث في القيم الوجدانية وحسب، مما دفع بالدراسات الأسلوبية التي جاءت بعده إلى تجاوز هذه التصورات والسعي في البحث عن جماليات النص الأدبي ومحاولة الاستفادة من التطورات التي عرفتها العلوم الحديثة والنقد، وضبط تصورات جديدة تسهم في بعث الدراسات الأدبية لتساير التطور الحاصل في جميع الميادين، وهذا ما تمخض عنه بروز تصور جديد أطلق عليه مصطلح الأسلوبية النفسية.

[1] المرجع نفسه، ص 86.
[2] - المرجع نفسه، ص 125.
[3] رجاء عيد، البحث الأسلوبي، ص39.
[4] Pierre Guiraud : Essais de stylistique , 3 eme tirage, Ed Klinckick, Paris 1980 p145.
[5] - ينظر: حسن ناظم: البنى الأسلوبية، مرجع سابق، ص 26.
[6] - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 64.
[7] - المرجع السابق، ص 62.
[8] - صلاح فضل: علم الأسلوب، مرجع سابق، ص 17.
[9] - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 64.
[10] - حسن ناظم: البني الأسلوبية، مرجع سابق، ص 31.